ولادة نـــــــــص

# أوجـــاع المخـــاض - أفـــراح البلـــوغ

## ( صراخ في الصمت الأخرس )... أنموذجاً

### (٢-٣)

٥ - اليوم إذ أعود إليها، بعد ما قرات وشاهدت... كل ما تسنى لي من كتابات بيكيت ويونسكو واربال وشحادة و ألبي وجينيه ووو الى اخر من يندرج، او اعتاد النقاد درجه، تحت اسم اللا معقول او العبث او الطليعية أو... او... أو.. أحس بقرب محاولتي الى نفسي وإنها مظلومة.. فاشعر بحب خاص لها بين جوانحي.. ينمو.. ويكبر و لا أرى اي مبرر لرقادها الطويل، موؤودة.شبه مخنوقة بين طيات أكداس الاوراق القديمة والجديدة... والاتربة التاريخية والمعاصرة، اعني اليومية المتجددة والمضافة اليها كل يوم. فقد يكون بوسعها الوقوف على قدميها، بلا عكازات ولا مساند... وقد تتمكن، تلقائيا، من تنفس هواء العصر،كأي كائن حي. ثم لابد لي بعد كل شيء او قبل كل شيء، من ان اقر واعترف بحقها المشروع في الحياة وعرض نفسها امام الاخرين بكل حرية واستقلالية، ومن نافلة القول، القول، ان للآخرين، الحق كل الحق، في تأسيس العلاقة التي يرتأون معها. سلبا او ايجابا. وايضا... بالحرية كلها والاستقلالية الكاملة

٦- قد تكون " صراخ الصمت الأخرس " ابتداء من عنوانها - ذي الكلمات الثلاث، وما فيها من تناقض واضح...الصراخ / الصمت، او ترادف، اعني توافق الصمت / الأخرس... ثم خلوها التام من عنصرين من عناصر الكلام... الفعل... والحرف، ومن نقص - بالمعنى اللغوي والنحوي -ضمن السياقات المألوفة، حيث لابد للمبتدأ من خبر. وهنا لا خبر وانما فقط مبتدأ مضاف ثم مضاف إليه.. ونعت يحتمل وجهين ان يكون للمضاف إليه، حيث كلاهما معرف ب( أل).. الصمت / الأخرس.. مثلما يمكن ان يكون للمبتدأ... المعرف هو الأخر، اذ اكتسب التعريف من اضافته الى معرف.. مما يمكن التصرف به توضيحا على النحو الآتي: الصراخ الأخرس... وفي كل الأحوال يبقى التناقض قائما... ويبقى المبتدأ بلا خبر ويبقى العنوان مع إغفال ما فيه من غرابة، ناقصا من وجهة نظر النحاة، في الأقل - أقول انها ابتداء من العنوان، حتى آخر سطر فيها.. من أكثر كتاباتي، ان لم تكن اكثرها بالفعل، انفلاتا من الوعي المبرمج الموجه. وتمردا على ضوابطه ومستلزماته وأغلاله.. الظاهرة والخفية او المخفية. ومن سياقات اللغة المعتادة والمألوفة... لا بمعنى الإخلال بقواعد اللغة الأساسية، وانما بمعنى استولادها، ان صح التعبير، والاجتهاد في اشتقاقات جديدة لبعض المفردات او نحت بعضها من البعض او الوصول الى تركيبات مما قد لا يستسيغ الكثيرون تركيبها. بيد إنها هنا تحاول ان تكون لغة الشخصيتين الرئيسيتين وليست لغة الكاتب وما تقتضيه هذه اللغة مما يمكن ان تسميها بالغرابة او اللامطروقة على نطاق واسع او ضيق في الاقل.

على الرغم من ذلك، وربما بسبب ذلك، قد جاءت من اشد كتاباتي تعبيراً عن الوعي وقدرة او مكراً في اخفاء هذا الوعي و الاعلان عنه في الوقت نفسه بين سطورها وكلماتها ايضاً.. وكل ذلك تحت ((كم )) هائل من الثرثرة التي تبدو ان لا طائل تحتها ولا قصد ولا هدف ولا مرمى. ففيها وفي كتابات اخرى لا يزال معظمها موؤوداً غير معروض ولا منشور.. تركت القلم يجرى فوق الورق ينقش، يخط، يحفر بمعنى اشمل يتنفس على سجيته وفي عفوية تامة لا مؤطرة ولا محددة.. وتركت نفسي ((روحي وعقلي)) بكل ما تزخر به من عواطف ومشاعر واحاسيس واحلام ومن خزين معرفي وأخلاقي، قل أو كثر، ومن معايشة عملية وفكرية و وجدانية للواقع، ومعاناة يومية وعذابات تلهث خلفه (القلم) يقودها الى حيث يشاء هو لا حيث تشاء هي الى عوالم ودنى وفضاءات وتضاريس وخرائط وقارات لا اعرف عنها شيئاً قبل الاقتراب منها ومن ثم دخولها واكتشافها والتعرف على اجوائها امراً واضحاً او حقيقياً، او يقينياً في رحلة شاقة.. مؤلمة موجعة ولكن في الان نفسه سعيدة ولذيذة.. وذات متعة خاصة - خاصة جداً لم اعش مثلها قط ولم أذق طعماً شهياً لشيء بهذه النكهة التي لا تزال في الحلق، بالرغم من قصر فترتها، قياساً إلى كتابات أخرى ابتلع زمن الاشتغال عليها والفراغ منها، او ما يشبه او يقرب من الفراغ منها . فلم يحدث ان اعتبرت نفسي قد فرغت من عمل، أي عمل،حتى ذلك الذي نشر في كتاب او عرض على مسرح. اذ تجرفني الرغبة في ان اكتبه مجدداً، لو أستطيع (ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه) - سنوات و سنوات دون قطرة واحدة من المبالغة بينما لم تستغرق رحلتي في (صراخ) ومجاهله سوى ثلاثة ايام.. اجل ثلاثة ايام فقط، لكن بمعدل ست او سبع ساعات، واحياناً عشر ساعات من الليل والنهار، ومن النهار و الليل - ومن اللهاث و الجري و النشاط المحموم والعمل المتواصل وغير المقطوع الا لضرورات اقوى من الجسد المنهمك على التحمل و الاستمرار... وكانت الحصيلة عشرات الصفحات من الحجم الكبير.. وعشرات الآلاف من الكلمات... و.. شخصين فقط... كلاهما بلا اسم... ولا تاريخ ولا هوية، لا يعرف لهما ماض، ولا يبدو ان لهما مستقبلاً... وربما لهما كل أولئك واكثر... مما قد يتوصل إليها القارئ أو المشاهد - كما آمل - اذ يشحذان خيالهما ويحلقان به إلى ما وراء الكلمة وما وراء المنظر فيدخلان تخوم الخلق المشترك، ويتحملان السباحة في بحر العذاب الواحد، ولا يكتفيان، بالتلقي حسب، عبر المعاينة فقط او المشاهدة دون التأمل.. والنفاذ الى ما بعد الصورة.

لم اطلق عليهما (على الشخصين الرئيسين في العمل) أي اسم.. خلافاً لكثير من كتاب المسرح او القصة او الرواية.. وخلافاً لكثر من كتاباتي الشخصية على هذه الصعد ايضاً... فقد اكتفيت بان أطلقت عليهما، اسمين رقميين او بالاحرى صفتين رقميتين - هل انا من فعل ذلك.. ام هما اختارا ذلك.. واطلقا على نفسيهما ذينك الاسمين... ام تينك الصفتين ؟ ( الأول والثاني ) ؟ يتحاوران... يثرثران احياناً بصورة متبادلة وأحيانا - بصورة متقطعة.. من جانب واحد - كل من جانبه حسب... ومع نفسه فقط، حوار البكم و الصم - مع انهما ليسا أبكمين و لا أصمين - يعانيان - يتعذبان، يفرحان.. ييأسان.. يتفاءلان.. يتخاصمان... يتصالحان... يغضبان... يهدآن. يتباغضان يتحابان.. يتعانقان.. يتفارقان.. يتماسكان، من بعضهما يتنافران، باختصار يمثلان او يتقمصان. او بالاحرى.. تتقمصهما.. وتتلبسهما مئات الحالات والمواقف المتباينة المختلفة وتنتابهما عشرات المئات من الافكار المتآلفة والمتناقضة، والحالات النفسية والواقعية المتطابقة والمتقاطعة.. دون ان يعرف أي منهما. لأي من تلك الحالات او الأفكار.. او الأوضاع.. سبباً.. او يفكر بايجاد سبب ما لها... ودون ان يتعمد او يسعى بقصدية. الوصول اليها وتحقيقها مع صاحبه. او صديقه الحميم حيناً.. وعدوه اللدود حيناً اخر... ومن غير ان يعرف ايضاً دافعاً للصداقة المتحققة بينهما الى الحد الذي يحمل كليهما على البكاء اذ يفكر احدهما بفراق الاخر..دون ان يعرف أي منهما موجباً للعداوة التي تجثم بكل ثقلها بينهما.. الى حد.. الضرب بالركلات او او بالصفعات.. والتهديد بالفراق الابدي..

والحالة نفسها تنبطق على القارئ.. و المشاهد.. بل على الكاتب ايضاً دون ان اعدو الحقيقة.. واذا كانوا كلهم، قد يعرفون سبباً او بضعة اسباب، لبعض تلك ( الحالات ) فانهم بلا استثناء ولكن بتفاوت ما فيما بينهم.. يجهلون.. او لايعرفون تحديدها.. او التنبؤ بها.. او التكهن بمسارها.. ويعجزون عن التخمين حتى التخمين.. بما ستؤول إليه الأحداث ( هل ثمة احداث أسرع فأقول اجل.. ثمة احداث.. مئات الاحداث. والحوادث... و المواقف التي يمكن ان يستثمرها المخرج النابه لصالح الدرامية بصورة جازمة... وذلك ما يجعل القارئ و المشاهد و الكاتب نفسه في شوق لتتبع ما سوف... يحدث. والشوق لاكتشاف كل ما لا يزال مجهولاً.. عنده.. وفتح كل ما لا يزال مغلقاً امامه.. وبذلك يتحقق التلقي الايجابي، الفاعل، المساهم.. بل المشترك في الخلق.. و في حالة خاصة من استيقاظ الوعي واستحضاره بكل تأريخيته.. ومخزوناته المعرفية والجمالية.. وشحذ الخيال.. الى ابعد مدى الى حد التحليق.. فوق المألوف، وعبره، لاكتشاف غير المالوف.. في شوق ملتهب متأجج - ولكن دون ان يحرق العقل او يعطل الوعي.

٧- الأول والثاني.. كما ذكرت.. ليسا شخصيتين بالمعنى المألوف لبناء الشخصية الدرامية وقد لا يكونان كذلك بأي معنى من المعاني لا الارسطوطاليسية ولا البريختية.. لا الكلاسيكية ولا المعاصرة، لا الطليعية ولا الحداثوية.. و لا المستقبلية وقد.. يكونان كذلك على وفق معنى من المعاني المذكورة ! او بمعنى.. اخر.. من المعاني التي لم يرد ذكرها فيما سبق، ولكن أي معنى هو ؟ اين هو ؟ ما حدوده ؟ ما منهجه ؟ ما اصوله ؟ ما افاقه ؟ ما.. ؟ ما.. ؟ اعترف باني لا أدرى.. لأني بمنتهى البساطة والبراءة. لا اعرفه.. و لا أستطيع تحديده. او في الأقل.. لا أستطيع ذلك الآن ، وامتلك الجرأة، بان أعلن باني عاجز عجزاً تاماً، عن ذلك واني قد أعرفه و استطيع الحديث عنه، ذات يوم، وقد لا اعرف و لا أستطيع ما حييت، واني لست فخوراً بذلك.. ناهيك عن كوني متأسفاً عليه.

وكذلك لم احفل، أو بالاحرى لم يحفل العمل نفسه، بمقدار الاقتراب أو الابتعاد عن البناء الأصولي.. للأجناس الأدبية. مثلما لم يفكر ولم يخطط للدخول في، او الخروج عن، القانون الأساسي، او القوانين الأساسية، للأعمال الإبداعية، التي تتمثل فيها بهذا القدر او ذاك، المسرحية الرواية. القصة القصيرة، اللوحة. الموسيقى. وحتى المقالة والبحث والدراسة.. و.. و.. سواها.. مثل : العرض. الصراع . الحبكة. الذروة.. وشروط طاليس، وغيره، في ضرورة توافر الوحدات الثلاث، وحدة الزمان. و المكان. والموضوع.. وحتى مدة العرض.. والى أخر ما يشترطون وجودها مما يرون من الأساسيات والضرورات" التي تؤدي الى تحقيق الدرامية " الدرامية الشعرية، بوجه خاص. باعتبارها العمود الفقري لكل منجز فني إبداعي.. والتي أسعى إلى الوصول إليها وتحقيقها، في كل من أعمالي، طبعاً، بتلقائية و عفوية.. ومن غير التزامية صارمة او قدسية. إذ لا قدسية في العمل الإبداعي، لغير.. الإبداع و "كم" الإبداع - إن صح التعبير - وتمكين العمل. على خلق وابتكار قوانينه الخاصة من داخله.. على وفق جدليته الذاتية و الموضوعية.

لا أقول باني لم احفل، بكل ذلك، او ببعضها، بقدر ما من التفاوت في الاهتمام، لأني ارفضها ولا أؤمن بها فأتعمد إهمالها...

لا..ابدا. إنما لان العمل ( عملي هذا تحديدا ) قد جاء هكذا، خاليا منها كليا او جزئيا. او حاويا عليها كلها، او على بعضها.. وبدرجات متباينة.. واني لم افرض عليها شيئا أي شيء. إذن ليحسبا علي ما يحسبان، على ما يمكن ان يحسبهما ) ا لقارئ، يدغدغني أمل ضعيف أن أضيف و المشاهد ايضاً، والدغدغة، الحق اقول، قوية على عكس الامل نفسه.. ولا استطيع ان أتكهن إلى أين يمكن أن يؤدى..

لم استرسل في ذكر تفاصيل كثيرة عن الشخصين ( الاول و الثاني) فيما يتعلق بالطول او،العمر، او الملامح، او الصفات.. او الملابس او.. او.. او.. ما عدا كون احدهما مقطوع الذراعين وكون الاخر سليماً.. من الناحية البدنية.. تركت كل تلك التفاصيل لفعل الخيال و ابداعه وقوته.. وقدرته على التحليق في فضاءات التصور و الخلق.. خيال القارئ.. وايضاً خيال المخرج.. ان تهيأ لهذا العمل الغريب، من بين اعمالي ان يظهر مخرج.. قد يغامر ويقدم على تجسيده.. فوق خشبة المسرح.. او فوق بقعة من الارض.. وايضاً خيال الممثل - سيد العمل - امام الجمهور وخيال فنان الديكور ومصمم ألأزياء.. والسينوغرافيا.. والموسيقى و.. و.. و.. ان كان ثمة ضرورة فنية لهولاء الاخرين.

يتوجب علي ان اقول لهذا السيد، اعني المخرج / المغامر، إن كان موجوداً او يمكن ان يوجد ذات يوم ( وقد وجد فعلاً في شخص المخرج الكبير الفنان عوني كرومي ) اني افضل ان ارى الاول و الثاني فقط فوق الخشبة، اما العامل و السيد و السيدة، وكذلك المخبز و الشجرة والسيارة و العمود.. فاني افضل... تركهم خارج الخشبة، وان يعمل الممثلان على تجسيد كامل أولئك وتحقيق حضورهم فوق المسرح بقوة الاداء، وتكثيف هذا الحضور على نحو حي، متفاعل، معبر، لامعهم حسب،وإنما مع الجمهور ايضاً وبالقوة نفسها، عبر طاقتهما الإبداعية... الا اذا كانت للصديق المخرج المغامر، الذي قد يتصدى للعمل... رؤية اخرى.. تخدم العمل على نحو افضل... واجمل... وابدع... وتمنح عمله الفني.. اذ سيصبح عمله، قيمة جمالية اكبر.. وذائقه اطيب.

٨- ما الذي اردت ان اقول في هذا العمل ؟ او في هذه الكلمات / الثرثارة.. التي تدفقت من قلمي وسالت على هذه الصفحات. مثل ثرثرة ( الاول والثاني ) التي تبدو غير مطهرة من جراثيم العدوى، تماما ؟.

لا ادري صدقوني لا ادري !! ربما اردت أن أقول اشياء كثيرة ومهمة... ولكني فشلت وربما لم أرد أن أقول شيئاً... ونجحت.. ربما يكون بوسع المخرج / المغامر او المغامر / المخرج ، ان يقول خلال العمل، الذي سيصبح عمله هو، وعلى ضوء هذه الكلمات / الثرثارة، او بدونها... اشياء اهم و اعمق و.. وينجح او لايقول هو الاخر.. شيئاً ذا قيمة.. ويفشل.

قلت ذات مرة، ان فضيله العمل الفني، أي عمل، تكمن في قدرته الذاتية على التعبير عن نفسه بنفسه، بوسائله الخاصة، النابعة منه، او المستنبطة من موحياته و الهاماته، والكاتب، يقول كل مايريد قوله، او جل ما يريد، زمن كتابة العمل، في العمل نفسه واذا فشل ( العمل ) في التعبير عن نفسه بنفسه.. أعنى بمكنوناته الداخلية، وتوجيه خطابه الفني و الجمالي بلسانه فكل ما سوف يقوله الكاتب عن عمله من خارج العمل، لا يعدو ضرباً من العبث ومجموعة عكازات هشة مرضوضة، عاجزة عن وقف العمل على قدميه ناهيك عن حمله و السير به... الى قلب القارئ و المشاهد... وعقلهما.

( ولكن ماهو هذا العمل ؟ )

اهو مسرحية ؟ رواية ؟ حوارية ؟ قصة ؟ مجموعة قصص متداخلة متشابكة مع بعضها البعض، سيل او سيول من افكار ومشاعر واحاسيس مندلقة بلا ضوابط.. وبلا حتى ضابط او كابح واحد ؟ ام...ام...ام...؟ ؟؟

لم احفل ومازلت غير حافل كثيراً، بالتسميات... ! لتحسب، على ما يمكن أن تحسب، حالها حال بطليها ( أهما بطلان حقاً ؟ ) على كل ما ذكرت، او على البعض منها.. او لاتحسب على أي منها، وليحسبها من يريد ان يتعامل معها قراءة، او مشاهدة.. على مايشاء او على لاشيء اطلاقاً، سيان، ولكن في كل الاحوال وبقدر تعلق الامر بي شخصياً لا استطيع ان انكر... بان شعوراً عميقاً عارماً بالفرح اكاد اقول الزهو - قد شملني ممزوجاً بقدر كبير من راحة جسدية ونفسية، حال فراغي من وضع اخر نقطة فيه.. الا اني وبالرغم من كل ذلك الحب والاهتمام به والانشداد الشخصي اليه، قد ركنته جانباً كما ذكرت - لإحساسي باليأس التام من إمكانية إظهاره على الناس، تحت أي شكل من أشكال (الاتصال الجماهيري ) كما يقال.. اعني ككتاب.. او نشره في مجلة.. ناهيك عن تجسيده على المسرح. حتى - كان عام ( ١٩٨٤).

# بـــــورخـــــس في بـــيـــتـــه

ماريو فارغاس ليوسا

ترجمة/ جودت جالي

### مقدمة

ماريو فارغاس ليوسا كما هو معروف كاتب أسباني من بيرو أصلا ولد عام ١٩٣٦ وهو أحد عظماء الأدب الأمريكي اللاتيني كتب العديد من الروايات مثل (المدينة والكلاب) و(الفردوس أبعد قليلا). وهنا نقدم مقتطفات من كتاب له جمعت فيه ست دراسات كتبت بين عامي ١٩٦٤ و٢٠٠٣ عنوانه(نصف قرن مع بورخس) صدر في شهر تشرين الثاني هذا العام.

كان يسكن شقة تضم غرفتي نوم في وسط بوينس آيريس مع قطته بيبو ( بأسم قطة لورد بايرون). غرفة والدته التي توفيت منذ سنوات عديدة حافظ عليها كما هي وكان يوجد على الفراش ثوب ليلكي مبسوط كأن والدته ستأتي لتلبسه في أية لحظة. حين يسأل أي شخص كان له أبلغ الأثر في حياته يذكرها أولا. الشقة لا تضم الكثير من الأثاث والجدران قد حال لونها، وغرفته تشبه الزنزانة، صغيرة وضيقة، وفيها سرير أشبه بأسرة الصبيان لصغره، هنالك كتب وتمثال صغير لنمر من السيراميك، حيوان بورخس المفضل في أدبه.لكن الكتب أيضا قليلة. خزانتا رفوف فقط في الزاوية التي تقع بين غرفة الجلوس وغرفة الطعام.. أدب، فلسفة، تأريخ، ديانات، كتب بعشر لغات ولكنك ستبحث عبثا بين هذه المجلدات عن كتاب لبورخس أو عنه، ومع أني أعرف الجواب سلفا سألته ذات مرة لماذا أستثنى كتبه من مكتبته المنزلية فأجاب (ومن أكون أنا لأجاور شكسبير أو شوبنهاور ؟) أما من ناحية الكتب التي تتحدث عنها ف (الموضوع لايهمني) !! .

يشاهده المرء دائما وهو يرتدي ملابسه بمنتهى الكمال والأناقة حتى ليكاد يجزم أنه يرتدي بذلته وربطة عنقه وهو جالس في بيته لاينوي الخروج منه. منذ أن فقد بصره يقرأ له شخص آخر مايريد، شقيقته نورا تقوم بهذا في أكثر الأحيان، أو أصدقاؤه حين يزورونه. كان في غاية الصبر مع زائريه وخصوصا مع العدد الهائل من الصحفيين الآتين من مختلف أنحاء العالم، يستقبلهم ويستعرض أمامهم بعضا من قدرته على التورية وسرعة البديهة الساخرة. مقابل (خدماته) هذه يطلب من أحدهم أن يقرأ له قصيدة من لوغونيس أو حكاية من كبلنغ. كلما ضعف بصره أكثر أزداد ولعا بأقتناء العصي من كل نوع وبلد حتى اجتمع له منها عدد كبير فريد التنوع. تواضعه وطيبته كانتا أسلوبا أدبيا أكثر منهما فضيلة، وكنت أحس به تحت لطف الشيوخ الذي يستقبلني به وهو يتلمس طريقه في شقته سفسطائيا مستقيما لم يصرعه الزمن. كان يدمدم مثلا وهو يسير أمامي (أنا متأكد من أن ترجمات نورمان توماس دي جيوفاني أفضل من الأصل، وهو واثق من ذلك أيضا).

كان يعتبر عمل بابلو نيرودا قليل القيمة، ولكنه أخذ يمتدحه ممتنا له منذ أن فاز بجائزة نوبل وسأله الصحفيون في ستوكهولم الى من يمنح الجائزة لو كان الأمر بيده فأجاب (الى بورخس)، وبهذا الصدد سألته لماذا يبخل عليه الأكاديميون السويديون بجائزتهم؟ فقال (لأن هؤلاء السادة يشاطرونني رأيي في عملي). كان يدرك تماما أنه عبقري ولذلك كان ينتقي أجوبته بخبث العجائز الساخرات ويعرف أن أجوبته لن يكون لها أثر غير ما تبثه السخرية المرحة.

الحب بينه وبين السياسيين كان مفقودا (كيف يحب المرء أناسا يقضون حياتهم بعقد الاتفاقات و التراجع عنها ؟) وقد أثار زوبعة حين هاجم العسكر في بلاده الأرجنتين وأعطى الحق لشيلي في نزاعها معها على قناة بيغل ورأى أنه من الأفضل للعسكر أن ينسحبوا من الحكومة (فكيف يمكن لأنسان قضى حياته في ثكنة أن يحكم شعبا؟) ولكن الفضيحة الأكبر حين صرح بأنه (لم يسمع صفير رصاصة يطلقها العسكريون الأرجنتينيون!) مما دفع جنرالا الى أن يطلق رصاصة دحضا لهذا التصريح فما كان من بورخس ألا أن يقول

(أشهد أني قد سمعت صفيرها !).

لقد أوتي منزلة مهيبة بحيث يمكنه أن يقول ما يشاء ويسمع كلامه دون أن يقدم أحد على اعتقاله أو الحجر على رأيه أو يضع له قنبلة، وقد كان يحلو لي تعقيبا على آرائه أن أعبر له عن احترامي لنقده اللاذع الذي يصوب سهامه نحو الأفكار الوطنية من كل لون، ولكن هل كان يستمع الي ؟ يتملكني انطباع أنه لم يكن مهتما بما أقول ألا عرضا، وحين كان يتحدث لم يكن يوجه حديثه الى مستمع محدد، إلى أنسان من لحم ودم يجلس أمامه ولا يبدو له ألا كشبح من الأشباح أو ظل من الظلال، بل الى حضور مجرد ومضاعف، الحضور نفسه الذي يكتب له، والذي يبدو الى جانبه مجرد ذريعة بسيطة، مجددة ومغفلة الاسم، لمونولوج لا ينقطع، دائم البحث وجذاب الرنين، هو المحادثة.

هذا الخطاب الذي يصبح أحيانا دراميا فيتذبذب صوته ويعبس وجهه حين يبلغ الحديث الثيمات المشهورة مثل لغة الفايكنغ القديمة التي درسها أيضا، وساغا القرن الثالث عشر الشمالية التي يستطيع الأيسلنديون أن يقرأوها بلغتها الأصلية، وألاحظ نظرته التي يبللها الدمع حين يأتي على ذكر ريكيافيك (عاصمة وميناء آيسلندة الرئيس. مركز صيد السمك ومقر الصناعة. سكن الفايكنغ تلك المنطقة أواخر القرن التاسع وأصبحت عاصمة لآيسلندة عام ١٩١٨ - المترجم).

يتذكر بعاطفة جياشة أنه كان فوضويا دائما كما كان والده ولكنه الآن علاوة على هذا سلمي كغاندي وبرتراند رسل، ولطالما كان يشكك في أن تصبح بلاده فوضوية أو ديمقراطية ويتساءل هل نستحقها ؟!.بالنسبة أليه يوجد شيئان في الأرجنتين لصالحها هما اتساع قاعدة طبقتها الوسطى وكثرة المهاجرين إليها، ويوجد بلدان أحب التعرف عليهما هما الهند والصين. لم يكن يخاف الموت بل على العكس يمتثل الى فكرة أنه سيختفي ذات يوم تماما. اللا أدرية تجعل فكرة الموت أسهل قبولا، تجعل منظور العدم مقبولا أكثر خصوصا عند الإحساس بالضيق والإحباط.

هذه المنولوجات الساحرة تروح وتجيء ثم تروح وتجيء ضافرة في جيشان الثيمات موضوعا من مواضيعه، مثل النمر والمرآة، والذي يستخدمه بأصالة منقطعة النظير حتى ليبدو أنه ملكه ومن مبتكراته ألا وهو.. المتاهة.. متاهة الحياة.

أن ادعاءه بأنه نشأ في حي سيئ في بالريمو مع صبيان أشرار على نواصي الشوارع مجرد اختلاق يحب أن يصدقه لأنه نشأ في مكتبة والده ونهل من الكتب الإنجليزية. قرأ كثيرا ولكنه لم يقرأ ألا القليل من الروايات. صحيح أنه بالغ في توبيخ الجنس الروائي (يبدو فعل وبخ مناسبا لأسلوب بورخس) وصحيح أن مؤلفيه المفضلين هم الشعراء، ولم ينج من مذبحته أحد من كتاب الروايات والمقالات غير قلة قليلة من بينها كونراد.

ماذا يكتب بورخس حقا ؟ قصيدة عن شاعر غامض من (نصف الكرة الجنوبي)، ويريدنا أن نصدق أن هذا الشاعر الغامض هو بورخس نفسه بلا ريب. ولكننا، أنا وهو، كنا نعرف أنه يكذب.

بورخس

# الراعي والطير...

محمد درويش علي

الراعي بين الأغنام يدور
الأغنام تعرفه
مثلما هو يعرفها
طير يحط بالقرب منه
يمد يده
الطير يحلق
الراعي على أمل ينتظر
الطير ثانية
يحط بالقرب منه
يمد يده
الطير من جديد يحلق
الراعي يغني:
أيها الطير
لا أنت تهجرني
ولا تحط في يدي!